

بسم الله الرحمن الرحيم

جواب سؤال

خلفيات تحرير أذربيجان لإقليم قرا باغ

السؤال:

أخلى أكثر من ١٠٠ ألف من الأرمن إقليم قرا باغ والبالغ عددهم ١٢٠ ألفاً حتى يوم ٢٠٢٣/٩/٣٠، تركوا الإقليم ولجأوا إلى أرمينيا بعد العملية العسكرية التي قامت بها أذربيجان يوم ٢٠٢٣/٩/١٩ في الإقليم لاستعادته وتطهيره من القوات الانفصالية الأرمينية التي ألفت سلاحها وأعلنت استسلامها، ولم تتدخل قوات حفظ السلام الروسية الضامنة لأمنهم، وقد نأت أرمينيا بنفسها عن القتال وعن مفاوضات السلام التي جرت بين أذربيجان والقوات الانفصالية. فما الذي حصل؟ ولماذا نأت أرمينيا بنفسها؟ ولماذا لم تتدخل القوات الروسية؟ وما موقف أمريكا وأوروبا وخاصة فرنسا التي هي مع أمريكا عضوان في مجموعة مينسك؟

الجواب:

حتى يتضح الجواب نستعرض الأمور التالية:

١- قلنا في جواب سؤال ٢٠٢٠/١٠/٥ "إن تمرد الأرمن ضد أذربيجان قد بدأ في شهر شباط عام ١٩٨٨ بدعم من روسيا، وأعلنوا سيطرتهم على منطقة قرا باغ الجبلية عام ١٩٩١، كما أعلنوا فيها جمهورية مستقلة لهم واستمرت الحرب حتى عام ١٩٩٤، ففقدت أذربيجان أكثر من ٢٠% حتى ٢٤% من أراضيها التي تضم إقليم قرا باغ الذي يتكون من ٥ محافظات، بجانب ٥ محافظات أخرى غربي البلاد، بالإضافة إلى أجزاء واسعة من محافظتي آغدام وفضولي، وقد هجروا نحو مليون من أهالي هذه المناطق المسلمين". فقد قام الأرمن بعملية تطهير عرقي ضد المسلمين في تلك السنوات فقتلوا عشرات الآلاف منهم وطردهم جميع المسلمين تقريباً من الإقليم ومن المناطق المحيطة به واستولوا على أراضيهم وأملاكهم وذلك بمساعدة الروس. ولهذا فبعدها قامت أذربيجان بعمليتها الأخيرة أصبح الأرمن الذين استولوا على الإقليم منذ ٣٠ عاماً يخشون من العقاب أو الانتقام، فبدأوا ينزحون عن الإقليم متجهين نحو أرمينيا.. وقد فتحت لهم أذربيجان ممر لاتشين للنزوح.. فقال رئيس وزراء أرمينيا ("إنه لن يبقى أي أرمني في كراباغ خلال أيام" وادعى أن "هناك تطهير عرقي وتهجير... الجزيرة ٢٠٢٣/٩/٢٨) فردت عليه الخارجية الأذرية وقالت في بيان ("إن رئيس وزراء أرمينيا باشينيان يدرك تماماً أن السكان الأرمن يتكون كراباغ بمحض إرادتهم.. إن أذربيجان لم تستهدف إطلاقاً المدنيين في عمليتها الأخيرة في كراباغ مستشهدة بتصريح رئيس الوزراء الأرمني باشينيان نفسه بأنه "لا يوجد تهديد مباشر للسكان المدنيين في قرا باغ". وأضاف البيان "نحن مستعدون لتوفير ظروف معيشية لهم بشكل أفضل مما كانوا عليه عندما كانوا رهائن لدى المجلس العسكري الذي أنشأته أرمينيا.. "وقال الكرملين "إنه لا يرى سبباً يدعو الأرمن للفرار من المنطقة"... الأناضول، الشرق الأوسط ٢٠٢٣/٩/٢٨)، وذكرت وكالة فرانس برس ٢٠٢٣/٩/٢٩ أن "الذين التقت بهم في بلدة غوريس الحدودية الأرمينية التي يتمتع فيها جميع الرجال بخبرة في الجيش والقتال أحرقوا زيهم الرسمي ووثائقهم العسكرية وحتى أكثر من ذلك بكثير". وهكذا يظهر أن القوات الأذرية لم تستهدف قتل الأرمن أو تهجيرهم كما فعلوا هم قبل ٣٠ عاماً ضد المسلمين.

٢- كانت أمريكا تعمل على سحب أرمينيا من تحت نفوذ روسيا وبسط نفوذها فيها بواسطة تركيا عن طريق عقد اتفاقات بين الطرفين للتقريب بينهما كما حصل عام ٢٠٠٩، ولكن البرلمان الأرميني لم يوافق على الاتفاق فلم ينفذ، بل إن أرمينيا ألغت هذا الاتفاق نهائياً. فقد أشرنا إلى ذلك في جواب السؤال الذي أصدرناه يوم ٢٠٢٠/١٠/٥ فقلنا "لكن بعد تسع سنوات؛ في آذار

٢٠١٨، وبضغط من روسيا، فقد ألغت أرمينيا الاتفاق رسمياً بسبب خضوعها للنفوذ الروسي. وبذلك ضاعت الفرصة على أمريكا بأخذ أرمينيا من روسيا بواسطة هذا الاتفاق مع تركيا، بل قامت روسيا بتعزيز نفوذها في أرمينيا فعززت ترسانتها الصاروخية في قاعدتها قاعدة غيومري الأرمينية، ومن ثم وقعت اتفاقية دفاع جوي مشترك في كانون الأول ٢٠١٥ مع أرمينيا فنشرت سرها من طائرات ميج ٢٩ وآلاف الجنود والمدربات وأنظمة الدفاع الجوية والصاروخية بعيدة المدى من طراز إس ٣٠٠ إلى جانب دفاعات جوية متوسطة المدى من طراز إس إي-٦. وقد أدخلتها روسيا في سوقها "الاتحاد الأوراسي الاقتصادي" الذي دخل حيز التنفيذ يوم ٢٠١٥/١/١ بجانب بيلاروسيا وكازاخستان وقرغيزستان. فأصبحت هذه الدول بما فيها أرمينيا سوقاً لتصريف المنتجات الروسية تحت مسمى حرية حركة السلع والخدمات في كافة المجالات ويعتبر الناتج المحلي الإجمالي لهذه السوق أكثر من ٥ تريليون دولار أمريكي، وأغلبه لصالح روسيا". وقلنا في جواب السؤال المذكور "إن روسيا تقف وراء أرمينيا البلد صغير المساحة والسكان والقوى والمقدرات بالنسبة لأذربيجان. فروسيا هي التي تمول وتدعم أرمينيا بالسلاح والعتاد وكل ما يلزم للبقاء، وهي عضو في منظمة الأمن الجماعي التي تقودها روسيا ولها وجود عسكري كبير هناك". فإذا توقف هذا الدعم تسقط أرمينيا ولا تقوى على الوقوف في وجه أذربيجان التي أصبحت مدعومة من تركيا ومن ورائها أمريكا. فجاءت ظروف عام ٢٠٢٠ التي تمكنت فيها أذربيجان من استعادة منطقة من المناطق وذلك في العملية العسكرية التي قامت بها أذربيجان بدعم من تركيا والتي بدأت يوم ٢٠٢٠/٩/٢٧ واستمرت ٤٤ يوماً ومن ثم عقدت اتفاقية بين أذربيجان وأرمينيا يوم ٢٠٢٠/١١/٩ تنسحب بموجبها أرمينيا من المناطق المحتلة الأذرية باستثناء إقليم قرا باغ الذي أصبح ذا غالبية من الأرمن الذين أعلنوا فيها جمهورية، وانفقت روسيا مع الطرفين ومع تركيا على إدخال قوات تابعة لها بنحو ألفي جندي إلى الإقليم حتى تجري مفاوضات تقرر مصير الإقليم واكتفت روسيا بذلك.

٣- ولكن بعد حرب روسيا على أوكرانيا وما لاقته من صعوبة في حسم المعركة، وما زالت مستمرة منذ بدأت في ٢٠٢٢/٢/٢٤ حتى اليوم فقد وجدت أمريكا فيها فرصتها في أن (تسحب) أرمينيا من النفوذ الروسي أو تشاركها فيها، وتعوض فشلها في محاولتها السابقة التي بدأت في ٢٠٠٩ كما ذكرنا أعلاه.. خاصة وأن أمريكا كانت قد أوجدت مديناً إلى باشينيان رئيس وزراء أرمينيا.. فقد شرعت أمريكا بإجراء مفاوضات مشتركة مع أرمينيا يوم ٢٠٢٣/٩/١١ لمدة ١٠ أيام قرب العاصمة الأرمينية يريفان. فأثار ذلك غضب روسيا حيث نددت بها عندما أعلن عنها قبل أسبوع من إجرائها، ما يدل على أن أرمينيا اتخذت هذا القرار بدون إعلام روسيا في خطوة تظهر نيتها التخلي عن تبعيتها لروسيا واتباع أمريكا. فقال المتحدث باسم الكرملين بيسكوف يوم ٢٠٢٣/٩/٧ ("من الواضح أن إجراء مثل هذه المفاوضات لا يسمح باستقرار الوضع في المنطقة أو تعزيز أجواء الثقة المتبادلة.. وإن روسيا ستواصل مهامها بوصفها ضامنة للأمن... الشرق الأوسط، ٢٠٢٣/٩/٧) وكان رئيس وزراء أرمينيا باشينيان قد نفى بشكل مباشر إعلان روسيا أن أرمينيا ستستضيف تدريبات منظمة الأمن الجماعي لهذا العام، ما اضطر روسيا إلى إجرائها في بيلاروسيا يومي (١، ٢٠٢٣/٩/٦) ورفض باشينيان إرسال قوات أرمينية للمشاركة!

٤- في هذا الجو أوحى أمريكا إلى علفيف عن طريق تركيا بالهجوم لتحرير إقليم قرا باغ، فأعلنت أذربيجان يوم ٢٠٢٣/٩/١٩ قيامها بعملية عسكرية لتحرير إقليم قرا باغ المحتل من قبل الأرمن، وطالبت باستسلام أرمني كامل وغير مشروط، وأعلنت سيطرتها على نحو ٩٠ موقعاً أرمينياً في المنطقة. بينما أعلنت السلطات الأرمينية في قرا باغ أن ("حصيلة ضحايا العملية العسكرية الأذرية التي استمرت يوماً واحداً في الإقليم ارتفعت إلى ٢١٣ قتيلًا و٤٠٠ جريح، وتم إجلاء أكثر من ٧ آلاف شخص من ١٦ قرية". علماً أنه يسكن الأقليم نحو ١٢٠ ألفاً أغلبهم من الأرمن بعدما طردوا أهلهم المسلمين بمساعدة روسيا قبل ٣٠ عاماً. بينما أعلنت أذربيجان أنها فقدت نحو ١٩٢ جندياً وأصيب أكثر من ٥٠٠ جندي في العملية العسكرية التي جرت لاستعادة قرا باغ. وأعلن رئيس أذربيجان علفيف يوم ٢٠٢٣/٩/٢٠ أن بلاده استعادت سيادتها على كراباغ، وتحدثت باكو عن بدء المسلحين

الأرمن تسليم أسلحتهم... الجزيرة، العربية (٢٠٢٣/٩/٢١) ولم تعترض روسيا فهي لا تريد الانشغال حالياً في حرب ما دامت مشغولة في حرب أوكرانيا.

٥- لم تشارك أرمينيا نفسها في القتال الأخير ضد أذربيجان، ونأت بنفسها عنه حتى إنها لم تدن العملية، وكأن المقصود هو كشف روسيا وإحراجها لانشغالها في أوكرانيا ومن ثم خذلانها للأرمن بعدم الدفاع عنهم كتمهيد لتحويل الأرمن عن روسيا كلياً أو جزئياً.. وأرمينيا لا تقوى على الحرب في وجه أذربيجان بدون دعم روسي. ولهذا دعا رئيس وزراء أرمينيا باشينيان إلى سلام ودائم بين أرمينيا وأذربيجان، وضمن الحقوق والأمن لسكان قرا باغ.. فأرمينيا لا تقدر على مجابهة أذربيجان دون مساعدة روسيا، وما دامت روسيا و"قوات السلام الروسية" لم تتحرك بجانب الأرمن في الإقليم، بل ابتعدت، عليه فقد استسلمت قوات الأرمن الانفصالية، وبدأت بتسليم أسلحتها، ومن ثم قالت السلطات الأرمينية بمنطقة ناغورنو قرا باغ، الخميس ٢٨/٩/٢٠٢٣: (إن رئيس الجمهورية المعلنة من جانب واحد سامفيل شهرامانيان وقع مرسوماً بجل جميع مؤسسات الدولة اعتباراً من ١ يناير (كانون الثاني) ٢٠٢٤. ووفقاً للمرسوم، فإن الجمهورية المعلنة من جانب واحد لن يكون لها وجود بداية من ذلك اليوم، وفقاً لما ذكرته وكالة «رويترز» للأخبار... الشرق الأوسط، ٢٨ أيلول/سبتمبر ٢٠٢٣ م) وأعلن الكرملين (أنه أخذ علماً بإعلان سلطات كراباغ أنها ستحل نفسها في الأول من يناير/كانون الثاني ٢٠٢٤. ودفع عدم تدخل روسيا في العملية العسكرية الأذربيجانية أرمينيا إلى اتهام موسكو حليفها التقليدية بالتخلي عنها... الشرق الأوسط، ٢٨/٩/٢٠٢٣) وهكذا ظهرت روسيا أمام الأرمن كأنها تخلت عن الدفاع عنهم لأنها مشغولة في أوكرانيا!

٦- إن أمريكا تُرى وهي تواصل اتصالاتها بالطرفين الأذري والأرمني وكأنها هي التي تدير الصراع، فقام وزير خارجيتها بليكن باتصالات هاتفية مع رئيسي الطرفين عليليف وباشينيان ودعاها إلى الحوار، وأكد للأخير "دعم واشنطن لسيادة أرمينيا". وذكر أن "السلام العادل سيعود بفائدة كبيرة على البلدين وسيكون بمثابة تغيير قوي نحو الأفضل في مسار التاريخ بعد ثلاث سنوات من الاشتباك". فلم تدافع أمريكا باسم وزير خارجيتها عن سيادة الأرمن في قرا باغ، بل دافعت عن سيادة أرمينيا فقط، وطالبت بتحقيق السلام بين أذربيجان وأرمينيا. ما يدل على أنها، أي أمريكا، موافقة على العملية العسكرية الأذرية وأن ذلك يصب في مصلحتها لفرض الهيمنة الأمريكية على المنطقة. فأمریکا تسعى لكسب أرمينيا كما كسبت أذربيجان عن طريق أردوغان، وتجعلها تتخلى عن تبعيتها لروسيا عندما ترى الأخيرة تخذ لها.. وقد نجحت أمريكا إلى حد ما في ذلك حيث تراءى للأرمن أن روسيا قد خذلتهم ولا تستطيع ضمان أمنهم وهم شعب فقير، محصور بين الجبال، قليل العدد والعتاد، ضعيف القوى بالنسبة لأذربيجان التي تتفوق عليهم مرات في التعداد والعتاد والقوى والغنى والبحر والمناخ. وبدأت أمريكا تتصل بهم وتعقد الاجتماعات بين مسؤوليهم والأذريين من بعد العملية الأذرية عام ٢٠٢٠ لسحب البساط من تحت أقدام الروس. فحصل أن جمع وزير خارجيتها بليكن نظريه الأذري والأرمني في واشنطن يومي ٢٠/٩/٢٠٢٢، و٨/١١/٢٠٢٢.

٧- لقد حاولت أوروبا التدخل لكنها فشلت.. إن فرنسا كانت من أكثر الدول انزعاجاً من العملية، إذ أعلن رئيسها ماكرون أنه ("يدين بأشد العبارات العملية العسكرية التي بدأتها أذربيجان في إقليم كراباغ" ودعا إلى "وقف فوري للهجوم"... فرانس ٢٤، ٢٠/٩/٢٠٢٣) ومع ذلك فلم تستطع التواصل مع البلدين، وحاولت بمساعدة ألمانيا لعب دور فعال في القضية، فدعت مع ألمانيا مسؤولين دبلوماسيين من أذربيجان وأرمينيا إلى بروكسل يوم ٢٦/٩/٢٠٢٣ لتناقش معهم سير الأحداث الأخيرة.. ودعت فرنسا أيضاً إلى ("تحرك دبلوماسي دولي في مواجهة تخلي روسيا عن أرمينيا. واعتبرت أن النزوح في كراباغ يحدث على مرأى من روسيا المتواطئة والتي تنشر قوة حفظ سلام في المنطقة" ودعت ألمانيا على لسان وزيرة خارجيتها أنالينا بيربوك إلى "السماح بإرسال مراقبين دوليين إلى كراباغ" واعتبرت أن ذلك "سيشكل دليل ثقة على أن أذربيجان جادة في التزامها بأمن سكان كراباغ"

وأنها ستزحف مساعداتها للأرمن من مليوني يورو إلى ٥ ملايين يورو عبر الصليب الأحمر "... العربية، والجزيرة ٢٧/٩/٢٠٢٣) ففرنسا تريد أن يبقى لها دور مهما كان، وتحرض ألمانيا لمشاركتها في أن يكون لهما دور.. ومع ذلك فما زال هذا الدور غير فاعل أمام الدور الأمريكي الذي يكاد يمسك بكل أوراق القضية!

٨- والخلاصة هي أن أحداث قرا باغ تدل على الأمور التالية:

أ- أن روسيا قد أدركت على الأرجح أن هذه الحرب موجهة ضدها ومخطط لها من قبل أمريكا عن طريق تركيا أردوغان وأذربيجان التي أصبحت وصية عليها، وسوف تشغلها بدون طائل وتشتت قواها، وهي تركز الآن على حربها في أوكرانيا، وهي حرب مصيرية ولا تريد أن تخسرها، وتعلم أنها إذا خسرتها فسوف تخسر كل شيء وإذا ربحتها فإنها ستتمكن من إعادة نفوذها في المناطق التي فقدتها. وفي الوقت نفسه لا تريد أن تصطدم بتركيا وهي محتاجة لها في هذه الظروف والحصار المفروض عليها، وهي بوابتها إلى العالم الغربي، وكذلك تريد أن تبقى على علاقاتها مع أذربيجان حيث إن لها هناك استثمارات، خاصة في موارد الطاقة بقيمة ٦ مليارات دولار، وحجم التبادل التجاري بينهما أكثر من ٤ مليارات دولار. وأما أرمينيا فهي عالية عليها في كل شيء.. ولا يستبعد أن تعيدها إلى كامل نفوذها كما كانت إذا ربحت الحرب في أوكرانيا.

ب- وأنه يفهم من تصرفات أمريكا أنها وراء هذه الحرب، وتريد أن تشغل روسيا بما إذا ما قامت والتزمت بمعاهدة الأمن الجماعي التي من ضمنها أرمينيا.. وينص ميثاقها على أن "الاعتداء على أي عضو فيها يعتبر اعتداء على بقية الأعضاء". فيقتضي منها التدخل لحماية الأرمن كما تدخلت في بداية عام ٢٠٢٢ في كازاخستان العضو الآخر في هذه المنظمة. سيما وأن لها قاعدة عسكرية في أرمينيا، وعززتها بإقامة موقعين جديدين في جنوب أرمينيا بالقرب من حدود أذربيجان باعتبار الموقعين ضمانا أمنيا إضافيا.. وإذا تدخلت حسب المعاهدة فإن قواها تضعف في أوكرانيا.. وواضح من كل هذا أن أمريكا استغلت ظروف روسيا الحالية في أوكرانيا فدفعت أذربيجان للهجوم.

ج- إن محاولات أوروبا، وخاصة فرنسا وألمانيا، ليكون لها دور في الأحداث، هي محاولات غير ناجحة كما بيناه أعلاه.

د- إن الكفار المستعمرين بأسهم بينهم شديد، فمصالحهم تقودهم حتى وإن كانت شيطانية وحشية، وقيمهم تخلو من الحق والحقيقة، ولذلك فإن دفعهم أذربيجان لتحرير إقليم قرا باغ من الأرمن في الوقت الذي فيه روسيا مشغولة في حرب أوكرانيا، هو ليس حبا في أذربيجان البلد المسلم، بل تمهيدا لإدخال النفوذ الأمريكي إلى أرمينيا وسحب تبعية أرمينيا لروسيا بعد خذلان روسيا لأرمينيا فلم تنصرها في الإقليم، ولو تغيرت الظروف فكان احتلال أرمينيا للإقليم يحقق هدفاً لأمريكا فعندها تدعم احتلال أرمينيا لقرا باغ من جديد! فقد استمر الاحتلال الأرميني للإقليم نحو ٣٠ سنة ولم تتدخل أمريكا كما تدخلت اليوم.. هكذا هم الكفار المستعمرون.. لا قيم ثابتة للخير والشر عندهم.. ﴿هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرُهُمْ قَاتِلَهُمُ اللَّهُ أَتَى يُؤَفِّكُونَ﴾.

في التاسع عشر من ربيع الأول ١٤٤٥ هـ

الموافق ٢٠٢٣/١٠/٤ م